طبقات أصحاب المراثي في الموروث النقدي العربي، رثاء الأشراف أنموذجًا.

إعداد: هناء عبد الحكيم قناطري – إشراف أ.د: سوسن لبابيدي

ملخص البحث

يتناول هذا البحث مفهوم الطبقات، ويخصُّ طبقات المراثي، ولأنَّ موضوع الرثاء موضوع مُتَشَعِب، وكان موضع اهتمام لكثيرٍ من الشُّعراء في الموروث القديم، اخترت رثاء الأشراف أنموذجًا.

فقد رثا الشُّعراء في الأدب القديم وجهاء القبائل، والقادة العرب، ومن اشتهروا بالكرم، والمروءة، والوفاء.

ومع ظهور الإسلام رثوا الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة الكرام–رضي الله عنهم–.

وفي العصرين الأموي والعباسي اشتُهِرَ رثاءُ الخلفاء.

تناولتُ في الفقرة الأولى تعريفًا بمفهوم الطبقات واهتمام النقَّاد بها في مؤلفاتهم، وعُنِيت الفقرة الثانية بمفهوم الرثاء وخصائصه، وأوردت في الفقرة الثالثة نماذج تطبيقية لرثاء الأشراف.

خلُص البحث إلى غلبة الطابع العاطفي على الرثاء قبل أن يتأثر بالأحداث الاجتماعية وظهور الإسلام الذي غيَّر معانيه، ثم تأثر بالأحداث السياسية وكثرة الأحزاب في العصر الأموي، وتنوَّعت معانيه في العصر العباسي؛ وقد اتخذ منحىً إنسانيًا في بعض الأحيان.

ومن الناحية الفنية، اتسمت قصائد الرثاء عمومًا، وقصائد رثاء الأشراف خصوصًا بالصدق، واعتدال الاستعارات والتشبيهات، والتناغم والانسجام بين الموسيقا الداخلية والخارجية، كما نوَّع الشعراء في مقدمات قصائدهم واختاروا منها ما يتناسب مع تجربة الشعراء الذاتية.

الكلمات المفتاحية:

الطبقات، المراثي، الرثاء، الموروث، الشرف، الأشراف

The Ranks of Elegy Poets in the Heritage of Arabic Criticism: The Lament for the Nobles as a Model.

Abstract

This study examines the concept of ṭabaqāt (literary classes), with a particular focus on the classes of elegiac poetry. Given that elegy

is a broad subject which has long drawn the attention of poets in earlier .times, the elegy of noble figures was chosen as the central model

In pre-Islamic and early Arabic literature, poets lamented tribal leaders, Arab chieftains, and those renowned for their generosity, chivalry, and loyalty. With the rise of Islam, they composed elegies for the Prophet Muhammad (peace be upon him) and his noble Companions. During the Umayyad and Abbasid periods, the elegy of caliphs became especially prominent.

The first section of this research introduces the concept of ṭabaqāt and the Arab critics' interest in literary classification. The second section addresses the notion of elegy, highlighting its artistic features. The third section presents applied examples of elegies composed for noble figures.

The study concludes that elegy was initially dominated by an emotional tone, until it came under the influence of social events and

the emergence of Islam, which reshaped its meanings. Later, during the Umayyad period, political events and the proliferation of factions further diversified its themes, and in the Abbasid era, elegy at times assumed a more humanistic dimension.

From an artistic perspective, elegiac poetry in general—and elegies for noble figures in particular—was characterized by sincerity, measured use of metaphors and similes, harmony between internal and external musicality, and variety in poetic openings, with each poet selecting what best suited his personal experience.

Keys words: Ranks/Layers-Elegies-Lamentation-Heritage-Nobility-The Nobels.

المقدمة:

ارتأيت في مقدمة هذا البحث، أن أقوم بتعريف أبرز المصطلحات التي ستمرُّ معنا:

الرّثاء: " لغة: "الرّثو: الرّثيئة من اللّبن؛ قال ابن سيده: وليس على لفظه في حكم التصريف لأن الرَّثيئة مهموزة، بدليل قولهم رثأتُ اللبنَ خلطته، فأمّا قولهم رجل مرثوٌّ، أي ضعيفُ العقل فمن الرَّثيَّة...والرَّثيَّة، بالفتح: وجعٌ في الرّكبتين والمفاصل...وقال ثعلب: والرَّثيَّة الضعف...ورثى فلانٌ

فلانًا يرثيه رثيًا ومرثيَّة، إذا بكاه بعد موته...ورثَّيْتُ الميت رثيًا ورِثاءً ومرثاةً ومرثيَّةً، ورثيْتُه: مدحْتُه بعد الموت وبكيْتُه...وعدَّدْت محاسنَه، وكذلك إذا نظمْتُ فيه شعرًا...ورثيْتُ له: رحمْتُه"((1)).

واصطلاحًا: "تعداد مناقب الميت، وهو باب من أبواب الشّعر عامة، والشّعر العربي خاصة، فقد كان الشُّعراء...يعبرون عن عواطفهم بقصائد يعرضون فيها لما تحلّى به الميت من مآثر، كالكرم، والشّجاعة، أو سعة العلم، او التقوى، أو الحلم، وتميّزوا في معظم ما نظموه بالمغالاة في تصوير المصيبة...يدخل في عداد الرّثاء القصائد التي نظمها الشُّعراء في البكاء على الإمارات، والدّول البائدة، والعمران الزائل، والمجد الغابر"((2)).

المرثاة: "قصيدة غنائية تُعدد فضائل الميت، بمعناها: مَرْثية"((3))

المرثية الشعرية: قصيد حزين مكتئب، وقد يكون على الأخص أغنية جنائزية أو عويل ونواح وتفجع على عزيز راحل، مثل مرثية جراي الشهيرة وأدونيس لشيلي"((4)).

(1)) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور(ت711هـ)، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ج14، ص308 وما بعدها.
(2)) المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984، ص121.
(3)) المرجع السابق، ص247.
(4)) معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، التعاضدية العمالية، صفاقس، د.ط،1986، ص318.

الشرف: لغةً: الشَّرَفُ: الحسَب بالآباء، شرُفَ يشرُف شَرَفًا وشُرْفة شَرْفة وشرافة، فهو شريف، والجمع أشْراف، غيره، والشرف والمجد لا يكونان إلا بالآباء، ويقال: رجلٌ شريف ورجل ماجد له آباء متقدِّمون في الشَّرف، قال: والحسب والكرم يكونان وإن لم يكن له آباء لهم شرف، والشَّرَفُ مصدرُ الشّريفِ من الناس، وشريفٌ وأشراف، مثل نصيرٌ وأنصار، وشهيدٌ وأشْهاد، الجوهري: والجمع شُرَفاءٌ وأشْراف..."((1))

لغةً: الطبق: كل غطاء لازم على الشيء، وطبق كل شيء ما سواه، والجمع أطباق، وقوله: وليلة ذات جهام أطباق معناه أن بعضه طبق لبعض أي مساوٍ له...وقد طابقه مطابقة وطباقا وتطابق الشيئان تساويا، والمطابقة: الموافقة والتطابق: الاتفاق، وطابقت بين الشيئين: إذا جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما " ((2)).

ومن معاني الطبقة عند الزمخشري: "المساواة:"

"وأطبقت الرحى: إذا وضعت الطّبق الأعلى على الأسفل، وطابق الغطاءُ الإناء، وانطبق عليه وتطبَّق" ((3)).

(1)) لسان العرب، ج9، مادة شرف، ص169.
(2)) لسان العرب، ج10، مادة طبق، ص209.
(3)) أساس البلاغة، أبو القاسم، محمود بن عمر الزمخشري، د ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2004، ص383.

التأبين: "أَبَّن الرجل تأبينًا وأَبَّله: مدحه بعد موته وبكاه...، وقال ثعلب: هو إذا ذكرته بعد موته بخير...وقال شمر: التَّأبينُ: الثَّناءُ على الرجل في الموت والحياة" ((1))

اصطلاحًا: "كلام مدبج أو حديث يمتدح شخصًا، وخاصة تلك الخطبة التي تُلقى تكريمًا لميت"((2)).

العزاء: لغةً: "الصبرُ عن كل ما فقدت، وقيل حُسنُه، عَزِيَ يعزى عزاءً، ممدود، فهو عزٍ، ويقال: إنَّه لعزيٌ صبور إذا كان حسنَ العزاء على المصائب..."((3)).

الندب: لغةً: "ندب الميت أي بكى عليه، وعدَّد محاسنه، يندُبْه ندبًا، والاسم النُّدبة، بالضم، وقال ابن سيدة: ونَدبَ الميت بعد موته من غير أن يقيِّد ببكاء، وهو من النَّدب للجراح، لأنَّه احتراقٌ ولذعٌ من الحزن، والنَّدب: أن تدعو النادبة الميت بحسن الثَّناء.." ((4))

واصطلاحًا: "نواح وعويل على الموتى" ((5)).

مشكلة البحث وأهميته وأهدافه وحدوده:

(1)) لسان العرب، ج13، ص4 وما بعدها.
(2)) معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، ص75.
(3)) لسان العرب، ج15، ص52.
(4)) لسان العرب، ج1، ص754 وما بعدها.
(5)) معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، ص367.

أما عن أسباب اختيار البحث فتتمثل بأهمية غرض الرثاء، بتفصيلاته الفكرية والفنية، وركزت على رثاء الأشراف، لأهميته وصلته بالأحداث التاريخية منذ الجاهلية حتى أواخر العصر العباسي.

أما مفهوم الطبقات، فهو درس تراثيٌّ أدبيٌّ يحتاج مزيدًا من التحليل والدراسة، وهو جانب من جوانب التدوين الذي اتبعه النقَّاد القدماء إلى جانب الشّعر، كما أنَّه دليلٌ على ثقافتهم، وسعة اطلاعهم.

بالإضافة إلى إمكانية الاستفاضة في مفهوم الطبقات نظريًا وتطبيقيًّا.

تكمن أهمية البحث في أنَّه يستقرئ فترةً طويلةً من التدوين الأدبي عند العرب لباب الطبقات من بواكير محاولاتهم في تصنيف الشعراء ضمن طبقات، ويميِّز بين طريقتهم في التصنيف، ومعاييرهم التي لجؤوا إليها، ويقف على بواعث ذائقتهم الفنية، ومذاهبهم في تقويم النصوص الشعرية.

ومن جانب آخر يعرِض البحث أبرز مراثي الأشراف ويحلل أساليب الشعراء في رثائهم، والمناسبات التي دعتهم إلى الرثاء، ويستقصي ما استجدَّ في ألفاظهم ومعانيهم، وصورهم في محاولةٍ لفهم تطور مفهوم الطبقات وأثرها في تطور رؤى النقَّاد، وفيما إذا غدت هذه القضية نظرية متكاملة في الحكم على شعراء الرثاء.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

لم أقع على أبحاث وافية اختصت برثاء الأشراف ولكن الدراسات التي عُنِيَت بالرثاء وافرة، منها ما يدرس الموضوعَ في فترةٍ زمنيَّةٍ محددة، مثلَ: اتجاهات الرثاء في القرن الثالث الهجري من خلال أعلامه لروضة المحمد((1))، ومنها ما يدرسه في عصرٍ من العصور، مثل: رثاء النفس في الشعر الجاهلي لإبراهيم عبد الفتاح حسن جرَّاش((2))، و الصورة في شعر الرثاء الجاهلي لصلوح بنت مصلح بن سعيد السريحي((3))، و شعر المراثي النبوية دراسة في التشكيل الجمالي لكوثر قبايلي وصليحة بوشالة((4))، وفن الرثاء عند المرأة في الشعر الأموي لنعيمة محمد عبد اللطيف بنون((5))، و منها ما يدرسه عند شاعرٍ معيَّن، مثلَ: الرثاء في شعر الشريف الرضي لمحمد تركي أمين طرادات((6))، كما وقعت على دراسةٍ فريدة اختصت بدراسة المراثي في الجمهرة، هي: المراثي في جمهرة أشعار العرب لمحمد علي صالح الشهري((7)).

(1)) اتجاهات الرثاء في القرن الثالث الهجري من خلال أعلامه، روضة المحمد، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، د.ط، 1983.
(2)) رثاء النفس في الشعر الجاهلي، إبراهيم عبد الفتاح حسن جرَّاش، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، فلسطين، د.ط، 2017.
(3)) الصورة في شعر الرثاء الجاهلي، صلوح بنت مصلح بن سعيد السريحي، كلية التربية للبنات، جدة، د.ط، 1998.
(4)) شعر المراثي النبوية دراسة في التشكيل الجمالي، كوثر قبايلي وصليحة بوشالة، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن المهيدي، الجزائر، د.ط، 2020.
(5)) فن الرثاء عند المرأة في الشعر الأموي، نعيمة محمد عبد اللطيف بنون، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، د.ط، 1989.
(6)) الرثاء في شعر الشريف الرضي، محمد تركي أمين طرادات، رسالة ماجستير، الجامعة الهاشمية، الأردن، د.ط، 2002.
(7)) المراثي في جمهرة أشعار العرب، محمد علي صالح الشهري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، د.ط، 1424هـ.

ومما وقعت عليه وكان على صلة برثاء الأشراف، رثاء الخلفاء والقادة في العصر الأموي لطراف طارق النهار((1))، ومراثي الخلفاء والقادة في الشعر العباسي إلى آخر القرن الربع الهجري للطيفة مهداوي((2))

ومن البحوث المهمة في الطبقات: مفهوم الطبقة عند "ابن سلام الجمحي"((3))"ابن قتيبة"((4)) و"عبد الله بن المعتز لعبد الكبير علاوي، ومفهوم الطبقة عند ابن سلاّم، الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية أنموذجًا، دراسة فنية موازنة لسمير سوالمية((5))، والطبقات الشعرية في ضوء الدراسات النقدية المعاصرة لصورية سلطان((6))،وصورة المجتمع العباسي في طبقات الشعراء لابن المعتز لعز الدين أحمد التمر((7)).

---

(1))رثاء الخلفاء والقادة في العصر الأموي، طراف طارق النهار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2019.

(2)) مراثي الخلفاء والقادة في الشعر العباسي، لطيفة مهداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010.

(3)) ابن سلَّام الجمحي: "أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي (ت231هـ) أحد الإخباريين والرواة، وله من الكتب كتاب الفاصل في ملح الأخبار والأشعار، كتاب بيوتات العرب، كتاب طبقات الشعراء الجاهليين، كتاب طبقات الشعراء الإسلاميين، كتاب الحلاب وأجر الخيل"، الفهرست، ابن النديم (ت385هـ)، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت ص165.

(4)) "أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي مولده بها وإنما سمي بالدينوري لأنه كان قاضي دينور، وكان ابن قتيبة يغلو في البصريين إلا أنه خلط المذهبين وحكى في كتبه عن الكوفيين وكان صادقًا فيما يرويه عالمًا باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه...ومولده في مستهل رجب وتوفي سنة سبعين ومائتين..."، الفهرست، ابن النديم، ص115 وما بعدها.

(5)) مفهوم الطبقة عند ابن سلاّم، الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية أنموذجا، دراسة فنية موازنة، سمير سوالمية، رسالة ماجستير، جامعة منتور، قسنطينة، الجزائر، 2009.

(6)) الطبقات الشعرية في ضوء الدراسات النقدية المعاصرة، صورية سلطان، الجزائر، جامعة مولود معمري،2012.

(7)) صورة المجتمع العباسي في طبقات الشعراء لابن المعتز، عز الدين أحمد التمر، جامعة الخرطوم، 1928.

وغيرها من الدراسات التي أغنت مكتبة البحث العربيَّة.

منهج البحث وإجراءاته:

المنهج المُتَبَع في هذه الدراسة (المنهج النقدي التطبيقي)((1))، لأنّه يُمَكِن الدراس من تشكيل نظرة ثنائية شاملة عن النص من خلال النظرية أوّلاً ثمّ التطبيق، فهو يقوم على "استيعاب كلِّ مقومات النص الأدبي وجوانبه، سواء منها البلاغية واللغوية، أو التاريخية أو النفسية أو الاجتماعية" ((2)).

ولا يجب أن يُدرس النص من منظورٍ نظري أو تطبيقي وحسب، "فكل من النقد النظري والتطبيقي يسعى لخدمة النص الإبداعي في نهاية المطاف" ((3))، ولابدَّ من تعريف كل جانب على حدة، لعلَّ ذلك يُساعد في فهم ما يتعلق بكلٍ منهما، والغاية من دمجهما معًا:

النقد النظري هو " كل ما يمثل الفكر النقدي النظري والذي صيغ بشكل نظريات أدبية منذ نظرية أرسطو في الشعر إلى يومنا هذا، مرورًا بما خلفه كبار النقاد من آراء نقدية ذات أهمية خاصة في تحديد مفهوم الأدب وفروعه المختلفة، و التي كان لها تأثير في تغيير حركة التطور، و

(1)) النقد التطبيقي في القرن الخامس الهجري: سامي العتلي، جامعة منتوري، قسنطينة، د.ط، 2009، انظر أيضاً حول المنهج النقدي التطبيقي: الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد، محمد زكي العشماوي، بيروت، دار النهضة العربية، د.ط،1983، ص143، وأيضًا: التنظير النقدي والممارسة الإبداعية، محمد عبد الحي، الإسكندرية، منشأة المعارف، د.ط، د.ت، ص9.
(2)) النقد التطبيقي في القرن الخامس الهجري: سامي العتلي، ص14.
(3)) المرجع السابق، ص15.

ترتب عليها نتائج خطيرة في مفهومنا لعمليتي الإبداع و النقد على السواء، و تأثير هذا كله على الدراسات التحليلية و التطبيقية"((1)).

أما النقد التطبيقي فهو الذي يحلل النصوص الأدبية ويفسرها، ويقومها، وفق أسسٍ محددة، إذ إنَّ وظيفته كما حددها محمد عبد الحي، هي:

"اختيار هذه الأسس و القوانين بواسطة تطبيقها على النصوص، و محاكمة النصوص انطلاقا منها "((2)).

والمنهج النقدي التطبيقي يضعنا في مواجهة النص، ويدعونا إلى سبر أغواره، إذ إنَّه لا يكتفي بالتنظير، وإطلاق الأحكام المطلقة، كما أنَّه وثيق الصلة بالدرس البلاغي، يقول محمد بركات حمدي أبو علي: "من دعوات التجديد في النظر النقدي والبلاغي، أن يأتلف النظر مع التطبيق"((3)).

فكما تبين لدى مجموعة من النقَّاد "إن التفريق بين النظرية النقدية والتطبيق النقدي لهو في أكثر أحواله تفريق مصطنع"([4])

ومن هذا المنطلق يحاول البحثُ استكشاف مواطن الصورة نظريًا، ثم تحليلها.

---

(1)) الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد، محمد زكي العشماوي، دار النهضة، بيروت، 1983، ص143.

(2)) التنظير النقدي والممارسة الإبداعية، محمد عبد الحي، ص9.

(3)) النقد الأدبي وأدب النقد، محمد بركات حمدي أبو علي، دار وائل، الأردن، ط1، 2001، ص167.

4) مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ديفيد ديتش، ترجمة محمد يوسف نجم، وإحسان عباس، د.ط، د.ت، ص267.

مفهوم الطبقات وعناية النقَّاد العرب في مصنفاتهم

ازدهرت فكرة الاختيارات الشعرية وفكرة الطبقات في الأدب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، وإن لم نجد لفظة طبقة في مختاراتهم الشعرية قبل ابن سلام الجمحي (ت231هـ)، وهنا سأوجز هذه الكتب وأعددها، وسأبدأ بالطبقات، ثم بالاختيارات الشعرية الأخرى:

1. طبقات الشعراء الجاهليين لمحمد بن سلام (ت231هـ).
2. طبقات الشعراء لأبي حسان الزيادي (ت243هـ)((1)).
3. طبقات الشعراء لدعبل الخزاعي (ت246هـ)((2)).
4. (المذهَّب) في أخبار الشعراء وطبقاتهم لمحمد بن حبيب (ت250هـ)((3)).
5. طبقات الشعراء لابن قتيبة (ت276هـ).
6. طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز(ت296هـ).

(1)) أبو حسان الزيادي: "أبو حسان، الحسن بن عثمان الزيادي يروي عن الهيثم بن عدي وغيره وكان قاضيًا فاضلًا أديبًا ناسبًا جوادًا كريمًا يعمل الكتب وتُعمل له وكانت له خزانة حسنة كبيرة وأخذ عن الناس، ومات هو والحسن بن علي بن أبي الجعد في وقت واحد...وله من الكتب كتاب معاني عروة بن الزبير كتاب طبقات الشعراء..."، الفهرست، ابن النديم، ص160.

(2)) دعبل بن علي الخزاعي: "نحو ثلثمائة ورقة وقد عمله الصولي وله من الكتب كتاب طبقات الشعراء كتاب الواحدة"، الفهرست، ابن النديم، ص229.

(3)) محمد بن حبيب: "أبو جعفر، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو ومن خط السكري...ولم يكن حبيب أباه...قال محمد بن إسحق، وكان من علماء بغداد بالأنساب والأخبار واللغة والشعر والقبائل وعمل قطعة من أشعار العرب روى عن ابن الأعرابي وقطرب وأبي عبيدة وأبي اليقظان وغيرهم، وكان مؤدبًا وكتبه صحيحة..."، انظر: الفهرست، ابن النديم، ص155 وما بعدها.

7. طبقات الشعراء الجاهليين لأبي خليفة الفضل (ت305هـ)((1)).
8. طبقات الشعراء لأبي عبد الله محمد بن العباس الزَّبيدي (ت310هـ)((2)).
9. طبقات الشعراء بالأندلس لعثمان بن ربيعة الأندلسي (ت310هـ)((3)).
10. طبقات الشعراء لأبي المنعم((4))

وقد ظهرت كتب تصنيفات واختيارات شعرية، اتبعت منهج الطبقات في طريقة تبويبها، ولكن لم يسمِّها أصحابها بهذا الاسم (الطبقة)، ومنها من غير المفضليات((5)) والأصمعيات((6))

(1)) أبو خليفة الفضل: "الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب بن صخر الجمحي البصري من بني جمح وولي قضاء البصرة من رواة الأخبار والأشعار والأنساب...وله من الكتب كتاب طبقات الشعراء الجاهليين كتاب الأنساب"، الفهرست، ابن النديم، ص165.

(2)) أبو عبد الله الزبيدي: ورد في وفيات الأعيان وكنيته اليزيدي "أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد اليزيدي النحوي...كان محمد المذكور إمامًا في النحو والأدب ونقل النوادر وكلام العرب...وله تصانيف، فمن ذلك كتاب "الخيل" وكتاب "مناقب بني العباس" وكتاب "أخبار اليزيديين" وله مختصر في النحو..."، وفيات الأعيان، ابن خلكان (ت681هـ)، ج4، ص337 وما بعدها.

(3)) عثمان بن ربيعة الأندلسي: "ذكره الحميدي فقال: هو مؤلف كتاب طبقات الشعراء بالأندلس، مات قريبًا من سنة عشر وثلاثمائة"، معجم الأدباء، ياقوت الحموي(ت626هـ)، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993، ج4، ص1601.

(4)) لم أقع له على ترجمة.

(5)) صاحبها المفضل بن محمد الضبي (ت178هـ): "أبو العباس، المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم بن الرمال من بني ثعلبة ابن السيد بن ضبة ويقال ابن أبي الضبي...ويكنى أبا عبد الرحمن...ويقال أنَّه خرج مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فظفر به المنصور فعفا عنه وألزمه المهدي وللمهدي عمل الأشعار المختارة المسماة المفضليات وهي مائة وثمانية وعشرون قصيدة وقد تزيد وتنقص وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عنه.."، انظر: الفهرست، ابن النديم، ص102.

(6)) صاحبها الأصمعي (ت217هـ) "عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مظهر بن عمرو بن عبد الله الباهلي...قال أبو العباس المبرد: كان الأصمعي أنشد للشعر والمعاني...وذكر أبو العيناء قال: توفي الأصمعي بالبصرة وأنا حاضر في سنة ثلاث عشرة ومائتين...ويقال: مات الأصمعي في سنة سبع عشرة ومائتين..."، انظر: الفهرست، ابن النديم، ص82.

والجمهرة((1))، وكتاب الحماسة لأبي تمام، والحماسة للبحتري (ت284هـ) ، والشعر والشعراء لابن قتيبة، والورقة لمحمد بن الجراح (ت296هـ)((2))، و العقد الفريد لابن عبد ربه (ت328هـ).

كما أنَّ للأصمعي كتابًا آخر بعنوان فحولة الشعراء؛ وهو كتابٌ مهمٌّ؛ أما عن مفهوم الفحولة فقد جاء تفسيره في إجابة لسؤال تلميذه، وجاء واضحًا وصريحًا في كتابه، وربط بين المراثي والفحولة((3)) في أكثر من موضع، ومنها:

(1)) أبو زيد القرشي (ت170هـ): "محمد بن أبي الخطاب القرشي، أبو زيد: راوية عالم بالشعر، صنَّف جمهرة أشعار العرب، ولم أظفر بترجمته في كتب المتقدمين"، الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002، ج6، ص114.

(2)) محمد بن الجراح: "ويكنى أبا عبد الله ولم ير في زمانه أفضل منه، ووزر لعبد الله بن المعتز (ت296هـ) في يوم خلافته وكان عالمًا قد لقى العلماء وأخذ عن العلماء والفصحاء والشعراء...وله من الكتب كتاب الورقة في أخبار الشعراء كتب به إلى ابن المنجم كتاب الشعر والشعراء..."، انظر: الفهرست، ابن النديم، ص185 و186.

(3)) الفحولة: يعنى بها الجودة والكثرة كما ورد في مقدمة كتاب سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه في فحولة الشعراء، "قال الأصمعي في معرض رده عن فحولة الحويدرة. "لو قال في مثل قصيدته خمس قصائد كان فحلًا"، انظر: سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه في فحولة الشعراء، تح: د محمد عودة سلامة، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1994م، ص40، وجاء في المقدمة أيضًا: "ومن اللافت للنظر أن الأصمعي لم يتحرز في إطلاق الفحولة على بعض الشعراء الجاهليين، وسلبها من بعضهم الآخر، بينما كان يتحرز عن ذلك في حديثه عن الشعراء الإسلاميين...وسأل أبو حاتم الأصمعي عن معنى الفحل فقال: "يريد أن يكون له مزية على غيره كمزية الفحل على الحقاق"، المصدر نفسه، ص30 وورد تفسير الفحول من الشعراء في لسان العرب "وفحول الشعراء هم الَّذين غلبوا بالهجاء من هاجاهم مثل جرير والفرزدق وأشباههما، وكذلك كل من عارض شاعرًا فغلب عليه، مثل علقمة بن عبدة، وكان يسمى فحلًا لأنه عارض امرئ القيس في قصيدته التي يقول في أولها: خليليَّ مُرَّا بي على أمِّ جُنْدَبٍ...بقوله في قصيدته: ذَهَبَتْ منَ الهجْرانِ في غَيْرِ مذْهَبِ وكل واحد منهما يعارض صاحبه في نعت فرسه ففضَّل علقمةَ عليه ولَقَّب بالفحل...والفحول الرواة، الواحد: فَحْل..."، انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج11، ص516 وما بعدها.

"وسألت الأصمعي عن كعب بن سعد الغنوي، قال: ليس من الفحول إلا في المرثية((1)) فإنه ليس في الدنيا مثلها. قال: وكان يُقال له كعب الأمثال"((2)).

ومن هذه المواضع أيضًا: "قلت: فأعشى باهلة؟ أمن الفحول هو؟

قال: نعم، وله مرثية ليس في الدنيا مثلها، وهي:

إني أتتني لسانٌ لا أُسَرُّ بها منْ عَلْوِ لا كَذِبٌ فيها ولا سُخُر"((3))

ولكنَّه أشار إلى لفظة طبقة إشارة، وهذا في قوله:

"عن ابن أذينة((4))"، وابن أذينة ثبت في طبقة ابن هرمة((5)) وهو دونه في الشعر"((6)).

---

(1)) "المقصود بها البائية التي كان يرثي فيها أخاه، ومطلعها:
تقول ابنة العبسي قد شبت بعدنا وكل امرئ بعد الشباب يشيب
انظر: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، أبو زيد القرشي (ت170هـ)، تح: علي محمد البجاوى، نهضة مصر، د.ط، د.ت، ص555.

(2)) سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه في فحولة الشعراء، ص48/47.

(3)) طبقات فحول الشُّعراء، ابن سلَّام الجمحي، ص54/53.
ورد في الجمهرة ص568 برواية أخرى:
إنِّي أتتني لسانٌ ما أُسَرُّ بها منْ عَلْوِ لا عجَبٌ فيها ولا سَخُر

(4)) ابن أذينة: "عروة بن أذينة هو من بني ليث، وكان شريفًا ثبتًا يُحْمَل عنه الحديث ووفد على هشام بن عبد الملك..." الشّعر والشُّعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري بن قتيبة، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، د.ط، 1958م، ج2، ص579 وما بعدها.

(5)) ابن هرمة: "هو إبراهيم بن علي بن هرمة، وشعره نحو مائتي ورقة وفي صنعة أبي سعيد السكري نحو خمسمائة ورقة، وقد صنعه الصولي فلم يأت بشيء". الفهرست، ابن النديم، ص227

(6)) فحولة الشعراء، الأصمعي، تح: المستشرق: ش. توري، تقديم: صلاح الدين المنجِّد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1980، ص16.

لم يتبع المؤلفون منهجًا واحدًا في اختياراتهم الشِّعريَّة، وأشار العديد منهم إلى منهجه أو أسباب اختياراته في المقدمة، أو في ثنايا الكتاب، فأبو زيد القرشي يشير إلى العلاقة بين لغة القرآن واللغة العربيَّة لغة الشعراء بقوله في مقدمة الجمهرة:

" هذا كتاب جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام الذين نزل القرآن بألسنتهم واشتُقَّت العربية من ألفاظهم، واتخذت الشواهد في معاني القرآن وغريب الحديث من أشعارهم، وأسندت الحكمة والآداب إليهم"((1)).

وقد أدرج الأصمعي كلًا من كعب بن سعيد الغنوي، وأعشى باهلة في طبقة الفحول لإعجابه بمراثيهم، فقد سئل الأصمعي عن مرثية كعب بن سعيد الغنوي، فقال: "ليس من الفحول إلاَّ في المرثية فإنَّه ليس في الدنيا مثلها"((2))، وقال في أعشى باهلة:

"له مرثية ليس في الدنيا مثلها"((3)).

ويؤكد ابن سلام في مقدمته اهتمامه بالموروث الشعري عند القدماء دون المحدثين، كما أنَّه اهتم بجودة الشعر وكثرته، وكذلك بعامل البيئة.

(1)) جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، القرشي، ص11.
(2)) فحولة الشعراء، الأصمعي، ص14.
(3)) المصدر السابق، ص15.

يقول: "ذكرنا العرب وأشعارها، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامها، إذ كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب، وكذلك فرسانها وساداتها وأيامها، فاقتصرنا من ذلك على مالا يجهله عالم، ولا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب..."((1)).

أما ابن المعتز فلم يعتمد طريقةً لاختيار طبقاته، فقط أوردها وفق اختياراته الشخصية، ولكنَّه ميَّز الشعراء المحدثين وكأنَّه أراد أن ينتصر لهم، وأكثر من أشعار المحدثين في مدح الخلفاء العباسيين، يقول:

"ما وضعته الشعراء من الأشعار في مدح الخلفاء والوزراء والأمراء من بني العباس ليكون مذكورًا عند الناس متابعًا لما ألفه ابن نجيم((2)) قبلي بكتابه المسمَّى: "طبقات الشعراء الثقات"، مستعينًا بالله مسهِّل الحاجات، وسميته "طبقات الشعراء المتكلمين، من الأدباء المتقدمين"((3)).

يظهر لنا تعدُد كتب الاختيارات الشعريَّة، وعناية الدارسين القدماء بتأليفها، وغلبة اسم الطبقات على عنوانات كتبهم، ثمَّ درج اسم الحماسة، ويختلف منهج كلٍّ من المؤلفين في اعتماد اختياراته، لكن لو تعمقنا في كل مصنَّفٍ على حدة لن نجد منهجًا بعينه اتبعوه، معوِّلين غالبًا على الذوق من غير بيان ميزات قصيدة ما عن غيرها، ولِمَ صُنِفَت في هذه الطبقة أو تلك.

(1)) طبقات فحول الشُّعراء، ابن سلَّام الجمحي، ج1، ص24.
(2)) لم أقع له على ترجمة.
(3)) طبقات الشعراء، ابن المعتز، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، د.ط، 2009، ص18.

مفهوم الرثاء وخصائصه:

شهدت الأمةُ العربية الإسلامية على امتداد عصورها العديد من الأحداث الحاسمة فلكلِّ مرحلةٍ ميزاتها وحروبها ومعاركها، وبرزت العديد من الشخصيات التي كان لها أثرٌ بارزٌ في تلك الأحداث، لذا كان غرض الرثاء استجابةً للحاجة التي دفعت الشعراء إلى تخليد بعض هذه الشخصيات، ولعلَّ ما يميزه عن الأغراض الأخرى الصدق الفني، فالأثر الذي يتركه الموت غالبًا يتعدَّى التجربة الفردية إلى التجربة الجماعية.

اهتمَّ الأدباءُ والنقَّاد العرب بفنِّ الرثاء، وتباينت أراؤهم فيه، فقد قارب قدامة بن جعفر بين الرثاء و المديح في قوله:

"ليس بين المرثية والمدحة فصل إلَّا أن يذكر في اللَّفظ ما يدل على أنَّه لهالك، مثل: كان، وتولَّى، وقضى نحبه، وما أشبه ذلك"((1)).

يقول محمد عبد المنعم خفاجي في تحقيقه لكتاب نقد الشعر تعقيبًا على رأي قدامة بن جعفر قائلًا: "وهذا خطأ ما بعده خطأ، لأن التجربة الشعرية في المدح غيرها في الهجاء، ولعل عبد الصمد بن المعذل (ت230هـ)، هو أول من قال بهذا الرأي حيث روى عنه ابن رشيق في العمدة

(1)) نقد الشعر، قدامة بن جعفر (ت327هـ)، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ص118.

أنَّه قال: "الشعر كله في ثلاث لفظات: إذا مدحت قلت: أنت، وإذا هجوت قلت: لست، وإذا رثيت قلت: كنت" ونحن لا نوافقه على هذا كله"((1))

ولعلَ رأي الخفاجي لا يخلو من صواب، وذلك لخصوصية كلِ غرضٍ من هذه الأغراض، وسمو الرثاء عن الكذب الفني.

يعدُّ الرثاء من الفنون الوجدانية التي يصف من خلالها الراثي الميت، ويذكر محاسنه في الحياة ويجمع بين الحكمة والتأمل، وسبيله كما يقول ابن رشيق في العمدة:

"أن يكون ظاهر التفجُّع بيِّن الحسرة، مخلوطًا بالتلهف والأسف والاستعظام إن كان الميت ملكًا أو رئيسًا كبيرًا"((2)).

وسنلاحظ دقة ذلك، عندما نتحدث عن رثاء الأشراف، إذ تمتاز معظم مراثيهم بالتعظيم من شأن المرثي.

وينبغي أن تتوافر في قصائد الرثاء سماتٌ بيَّنها حازم القرطاجني (ت684) بقوله:

---

(1)) المرجع السابق، ص7.

(2)) العمدة، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت456هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981، ج2، ص147.

"فأما الرثاء، فيجب أن يكون شاجي الأقاويل، مبكي المعاني، مثيرًا للتباريح، وأن يكون بألفاظ مألوفة سهلة، في وزن متناسب ملذوذ"((1))

ويضيف شرطًا آخر في قصائد الرثاء، إذ يُفضل فيها ألَّا تبدأ بنسيبٍ، أو مقدماتٍ أخرى لا تتناسب مع الغرض المراد، وهو:

"وأن يستفتح فيه بالدلالة على المقصد، ولا يصدر بنسيب، لأنَّه مناقض لغرض الرثاء، وإن وقع للقدماء نحو قصيدة دريد بن الصمة في رثاء أخيه، من الطويل:

أرثُّ جديدَ الحَبْلِ منْ أُمِّ مَعْبَدْ بعاقبةٍ وأَخْلَفَتْ كلَّ مَوْعِدْ"(2)

وكان لحازم القرطاجني طريقته في تقسيم الشعر بحسب أغراضه الشعريَّة، قوامها طلب النفع وتجنب الضرر، وهي طريقة تميَّز فيها عن بقية النقَّاد، يقول:

سُمِّي القول في الظفر والنجاة تهنئة، وسُمِّي القول بالإخفاق إن قصد تسلية النفس عنه تأسّيًا، وإن قصد تحسّرها تأسُّفًا، وسمّي القول في الرزء إن قصد استدعاء الجَلد على ذلك تعزية، وإن

(1)) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، 2008، ط3، ص316.
(2)) يُنظَر: ديوان دريد بن الصمة، تح: عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة، د.ط، 2009.
ويكمل: " وقصيدة النابغة يرثي بعض آل جفنة: (الطويل-ق-المتدارك)
دعاكَ الهوى واستجْهَلَتْكَ المنازلُ
وقصيدة عديّ بن زيد يرثي ولده علقمة: (السريع-ق-المتدارك)
أعرفتَ أَمْس من لميسٍ طللْ "، منهاج البلغاء، القرطاجني، ص316.

قُصد استدعاء الجزع من ذلك سمي تفجيعًا، فإن كان المظفور به على يدي قاصد للنفع جوزي على ذلك بالذّكر الجميل وسمّي ذلك مديحًا، وإن كان الضارّ على يدي قاصد لذلك فأدَّى ذلك إلى ذكر قبيح سُمّي ذلك هجاء، وإذا كان الرزء بفقد شيء فندب ذلك الشيء سمّي ذلك رثاء"((1)).

فقد كان عنده الرثاء يأتي بالتدريج بعد الرزء بالفقد ثمَّ الندب ثمَّ الرثاء.

يعدُّ الرثاء استجابةً لحتمية الموت، وتعبيرًا عن ألم الفقد ووسيلةً من وسائل التخفيف من الحزن، وتذكيرًا بمناقب الميت.

كما أنَّه من أكثر الفنون الشِّعريَّة التي اتسمت بالصدق الفني وصدق المعنى، لأنَّه يصدر عن قلبٍ حزين ويعبر عن مشاعر، وعاطفة وحسرة، ولوعة.

تطورت أساليب الرثاء في مختلف العصور الأدبية، واهتمت به الأمم، وكان وسيلةً من وسائل تخليد الحوادث والشخوص في كلٍّ منها، يقول شوقي ضيف عن أساليب التدوين الأولى في الرثاء:

(1)) منهاج البلغاء، القرطاجني ، ص305.

"وقد يكون من أقدم صور الرثاء عندهم ما نُقِشَ على الأقيال((1)) والأذْواء في اليمن، والأمراء في الحيرة وعند الغساسنة في الشام، فعلى قبورهم كانوا يكتبون أسماءَهم وألقابهم تخليدًا لذكراهم وتمجيدًا لأعمالهم، وكأنَّ هذه هي الصورة الأولى للتأبين والإشادة بفضائل الميت، على أنها صورة ساذجة، أما الصورة الجاهلية للتأبين فصورة معقدة، لا بما فيها من طول فحسب"((2))

كما تحدث عن اهتمام الشعراء بقصائدهم في الرثاء، وتنويعهم في الأساليب الفنية المستخدمة فيه، يقول:

"إذ نرى شعراء الرثاء يهتمون بقوالب رثائهم وصيغه كما نجدهم يهتمون بصورهم واستعاراتهم وتشبيهاتهم، مع العناية التامة بموسيقاهم وأوزانهم الملاءمة بين أنغامهم وشعور الحزن الذي يتعمق في قلوبهم وأفئدتهم"((3)).

كان الرثاء في العصرِ الجاهلي قبليًا بالدرجة الأولى، ومن عادة النساء في الجاهلية العويل والنواح واللطم.

(1)) "والقَيْل: الملك من ملوك حِميَر يتقيَّل من قبله من ملوكهم يشبهه، وجمعه: أقيال، و قيول؛ ومنه الحديث: إلى قَيْل دي رُعَيْن أي ملكها، وهي قبيلة من اليمن تنسب إلى ذي رُعَيْن، وهو من أذواء اليمن وملوكها..."، يُنظَر: لسان العرب، ج11، ص580.
(2)) الرثاء، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط4، د.ت، ص7.
(3)) المرجع السابق، ص8.

ثمَّ جاء الإسلام ليحرم هذه العادات، ويصحح هذه المفاهيم، وبيِّن أن الموت لم يكن فناءً وعدمًا، بل إنَّ المرثي يبعث من جديد ويُحشر يوم القيامة، ويكون مصيره في جنة الخلد أو في النار.

كما وقف الجاهليون من الموت موقفًا سلبيًا وكان من عادتهم عدم الصبر على مصائبهم، في حين وقف الشعراء المسلمون من الموت موقف الصابرين والمحتسبين، لإيمانهم بالله ويقينهم باليوم الآخر.

أما في العصر الأموي فقد تأثر الشعراء بالإسلام لقربهم من عهده ومن طباع شعرائه، وتقاليده ومضامينه وأطره العامة.

إذ هذَّب الإسلام الكثير من العادات التي درج عليها الجاهليون لتتناسب مع تعاليمه وقيمه، ومن هذه العادات، المكوث الطويل على قبر الميت، وشرب الخمور والندب بجانبه.

فقد برزت في الإسلام قيمٌ جديدة تتعلق بالمرثي؛ كالدعاء له وطلب المغفرة، وبرزت معتقداتٌ جديدة كالتأمل في قضايا البعث، والحشر يوم القيامة والقضاء والقدر.

شهد الرثاء في العصر العباسي تطورًا كبيرًا فهو من أبرز الألوان الشعرية التي أثرت في الأدب العربي، سواء على المستوى الشخصي أو الاجتماعي، وأضيفت إليه تفصيلاتٌ فنية جديدة جعلت منه تعبيرًا عن مشاعر الفقد والحزن بأبعادٍ فلسفيةٍ وبلاغيةٍ عميقةٍ، فقد تراوحت قصائد الرثاء فيه بين المدح والتمجيد، والحزن الشخصي والعاطفي، مما أضفى عليه طابعًا فنيًا يميزه عن بقية العصور.

نماذج تطبيقية لرثاء الأشراف:

إنَّ رثاءَ الأشرافِ بابٌ واسعٌ، درج عليه الشُّعراءُ منذُ الجاهلية، وذلك لعادةٍ في الأمة العربية الإسلامية على اختلاف عصورها تقتضي تعظيم أشراف القبائل، وأيضًا لكثرة المعارك التي شهدتها هذه الأمة، وكثرة القادة الّذين قضوا فيها، ولا يخفى نظام الخلافة في العصرين الأموي والعباسي، فقد أكثر الشعراء من رثاء الخلفاء، وتخليد ذكراهم.

ولعلَّ فكرة البحث استندت على الفصل الذي خصَّصه ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد، بشأن هذا الموضوع، والذي سمَّاه رثاء الأشراف، وجاء في بابه المعنوَّن –كتاب الدُّرَّة في النوادي والتعازي والمراثي([1])–

نجد اتجاهاتٍ متنوعةٍ في الرثاء، ورثاء الأشراف خصوصًا، كرثاء الشُّعراء للخلفاء، أو رثائهم للقادة، كما نجد رثاء الخلفاء أنفسهم للخلفاء والقادة الآخرين، ورثاء القادة أنفسهم لغيرهم من القادة والخلفاء مع تنوع معاني هذا الغرض وفق اختلاف الاتجاهات وسياقاتها، وهذا ما سنلحظه في النماذج التي سترد في هذا البحث، وأولها من الشعر الجاهلي.

[1]) العِقْدُ الفَريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت 328هـ)، تح: محمد مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983، ط1، ج3، من ص183 إلى ص264 ومراثي الأشراف من ص238 إلى ص 254.

كان من عادة النساء في الجاهلية أن يتفاخرْنَ بفضائل المرثي وشجاعته وشرفه ومكانته في قومه، وهذا ما نجده في مراثي الخنساء الشهيرة في أخويها صخر، ومعاوية.

تقول من الوافر:

فَمَنْ للحرْبِ إذا صارَتْ كلوحًا		وشمَّر مُشْعِلوها للنّهوضِ
وخَيْلٍ قدْ دَلَفْتَ لها بِأُخرى		كأنَّ زُهاءَها سَنَدُ الحضيضِ
إذا ما القوْمُ أَحْرَبَهُمْ تُبولٌ[1]		كذاكَ التَّبْلُ يُطْلَبُ كالقروضِ[2]
بكلِّ مُهنَّدٍ عَضْبٍ[3] حُسامٍ		دقيقِ الحدِّ مصْقولٍ رحيضِ[4]

فأخوها المرثي سند، شجاعٌ مقدامٌ في الحروب كالسيف الأبيض شديد الصفاء.

وترثيه في قصيدةٍ أخرى بالصفات التقليدية في العصر الجاهلي؛ الكرم والشجاعة وإغاثة الجار وإصلاح ذات البين والحكم: –من الطويل–

فَمَنْ لِقرى الأضْيافِ بعْدَكَ إنْ هُمُ		قُبالك حلُّوا ثمَّ نادَوا فأَسْمَعوا
كَعَهْدِهِم إذْ أنْتَ حيٌّ وإذْ لهُمْ		لديْكَ منالاتٌ وريٌّ ومَشْبَعُ

[1]) التِّبْل: "العداوة، والجمع تُبُول، وقد تَبَلني يتبُلني، والتبل: الحقد، والتبل: عداوة يُطلب بها، يقال: قد تبَلني فلان ولي عنده تَبْل، والجمع التُّبول..."، لسان العرب، ج11، ص76 وما بعدها.

[2]) القرض: "والقَرْضُ و القِرْضُ: ما يتجازى به الناس بينهم ويتقاضونه، وجمعه قروض، وهو ما أسلفه من إحسان ومن إساءة، وهو على التشبيه..."، لسان العرب، ج7، ص216.

[3]) العَضْب: "القطع، عَضَبَهُ يعْضِبُه عَضْبًا: قطعه...والعَضْب: السيف القاطع، وسيفٌ عَضْب: قاطع..."، لسان العرب، ج1، ص609.

[4]) ديوان الخنساء، تح: حمدو طمَّاس، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004، ص76.

ومنْ لمُهِمٍ حلَّ بالجارِ فادِحٍ		وأَمْرٍ وَهَى منْ صاحبٍ ليْسَ يُرْقَعُ
ومَنْ لجَليسٍ مُفْحِشٍ لجليسِهِ		عليْهِ بجَهْلٍ جاهدًا يتسرَّعُ[1]

تنافست هي وهند بنت عتبة في مصيبتيهما، وادَّعت كل منهما أنَّها أعظم بلوى، فالخنساء افتخرت بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية، وهند افتخرت بأبيها عتبة وعمها شيبة وأخيها الوليد، ولكنهما حافظتا على المفاخرة التقليدية والمحامد المألوفة، قالت هند بنت عتبة:

–من الطويل–

أُبكّي عميد الأبْطَحَيْنِ كِليهما		ومانعها من كلِ باغٍ يريدُها
أبي عُتْبَةُ الخَيْراتِ ويْحَكِ فاعْلمي		وشَيْبَةُ والحامي الذّمارَ وليدُها
أولئك آلُ المجْدِ منْ آلِ غالبٍ		وفي العزِّ منْها حينَ يُنْمى عديدُها[2]

فقالت الخنساء تجيبها: –من الطويل–

أُبْكي أبي عَمْرًا بعَيْنٍ غزيرةٍ		قليلٍ إذا نامَ الخَليُّ هُجودُها
وَصِنْوي لا انْسى معاويةَ الّذي		له من سُراةِ الحرَّتَيْنِ وُفودُها
وصَخْرًا ومَنْ ذا مِثْلَ صَخْرٍ إذا غدا		بساحتهِ الأبْطالُ قَزْمٌ يقودُها
فذلك يا هِنْدُ الرّزيَّةُ فاعْلمي		ونيرانُ حَرْبٍ حينَ شُبَّ وقودُها[3]

[1]) ديوان الخنساء ، ص77.
[2]) المصدر السابق، ص40.
[3]) المصدر السابق، ص41.

بدأت كلتاهما بالبكاء على والدها، استفاضت هند في رثاء والدها، وأشارت إلى عمها شيبة، وأخيها الوليد إشارة، ثمَّ فخرت بقومها آل غالب، أما الخنساء فقد أفردت لكلٍّ من والدها عمرو، وأخويها صخر ومعاوية بيتًا خاصًا، ولم تفخر قومها.

ومن نماذج الرثاء في الجاهلية أيضًا رثاء ليلى الأخيلية بطولات زوجها، وإكرامه الضَّيف والمحتاجين، بعد أن أشارت إلى كأس الموت التي أصابته: –من الطويل–

نظَرْتُ ورُكْنٌ من دِقانين دونَهُ		مفاوزُ حَوْضى أي نظرةُ ناظِرِ
أَتَتْهُ المنايا بينَ زَغْفٍ([1]) حصينَةٍ		وأسْمَرَ خطّيٍّ وخَوْصاءَ ضامِرِ
فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يا توْبُ إنَّما		لقاءُ المنايا دارعًا مِثْلُ حاسِرِ
فتًى لا تخطَّاهُ الرِّفاقُ ولا يرى		لِقِدْرٍ عيالًا دونَ جارٍ مجاورِ
ولا تأْخُذُ الكومُ الجِلادُ رماحَها		لتوْبةَ في نحْسِ الشّتاءِ الصَّنابِرِ([2])
وتوبَةُ أحيا من فتاةٍ حيِيَّةٍ		وأجْرأُ من لَيْثٍ بخفَّانَ خادِرِ
فتىً لا تراهُ النَّابُ إلْفًا لسَقْبِها		إذا اخْتَلَجَت بالناسِ إحْدى الكبائِرِ[(3)]

فقد وصفته بالحياء والشجاعة معًا:

[1]) زَغْف: "زَغَفَ في حديثه يزغَفُ زَغْفًا: كذّب وزاد، ورجل مِزْغَف: نهمٌ رغيب.
والزَّغْفُ والزَّغْفة: الدرع المحكمة، وقيل الواسعة الطويلة، تُسكن وتُحرَك، وقيل: الدرع اللينة، والجمع زَغْفٌ على لفظ الواحد..." لسان العرب، ج9، ص135.

[2]) مما ورد فيها "السهام الدقاق شُبِهت بصنابير النخلة التي تخرج في أصلها دِقاقًا..."، لسان العرب، ج4، ص470.، ووردت في شرح الديوان: "الصنابر: ج.صنبر، وصنبر الشتاء: شدته وقساوته"، ديوان ليلى الأخيلية، تح: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط2، 2003، ص53.

[3]) ديوان ليلى الأخيلية، ص50 وما بعدها.

وتوبَةُ أحيا من فتاةٍ حيِيَّةٍ		وأجْرأُ من لَيْثٍ بخفَّانَ خادِرِ

وقال بشر بن أبي خازم الأسدي(1) يرثي أخاه سُمَيْرًا(2):

أَمْسى سميرٌ قدْ بانَ فانْقَطَعَا		يا لَهْفَ نفْسي لبَيْنِهِ جَزَعَا
قومَا فنوحَا في مأتمٍ صَحِلٍ[3]		على سُمَيْرِ النَّدى ولا تَدْعَا
ثمَّ أنْدُباهُ لكلِّ مكرُمةٍ		لا مُسْنَدًا عاجِزًا ولا وَرَعَا
كانَ لنا باذِخًا نلوذُ بهِ		أمْسى رماهُ الزَّمانُ فانَّضَعَا
وكلُّ نَفْسِ امْرِئٍ وإنْ سلِمَتْ		يَوْمًا ستحسُو لمَيتَةٍ جُرَعَا
لله درُّ القبورِ ما حُشِيَتْ		أروَعَ شِبْهًا للبَدْرِ إذْ سَطَعَا
أيَّتُها النَّفْسُ أَجْملي جزَعًا		إنَّ الذي تحْذَرين قدْ وقَعَا
إنَّ الَّذي جمَّع المروءَةَ والتَّ		جْدَةَ والبرِّ والتُّقَى جُمَعَا[4]

بدأ بشر في رثائه بالتعبير عن المصاب الجلل الذي حلَّ به، طالبً من صحبه إسعافه في البكاء، كما حافظ على صور الكرم والشجاعة التي يرثي بها الشعراء الفقيد عادة، ما يميِّز هذه

(1)) بشر بن أبي خازم: "من بني أسد، جاهليٌّ قديم، شهد حرب أسد وطيء، وشهد هو وابنه نوفل بن بشر الحلف بينهما"، الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ج1، ص270.
(2)) "سمير أخو بشر بن أبي خازم قتله شراحيل بن الأصهب الجعفي كما في منتهى الطلب"، ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تح: عزَّة حسن، مديرية إحياء التراث القديم، 1960، دمشق، ص123.
3) صحل: "صَحِلَ الرجل، بالكسر، وصَحِل صوته يصحَل صحْلًا، فهو أصحَلُ وصحِل: بحٌّ، ويقال: في صوته صحَل: أي: بحوحة..."، لسان العرب، ج11، ص377.
4) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تح: عِزَّة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1960، ص123 وما يعدها.

الأبيات عاطفة الأخوة والحزن والجزع، ثمَّ يخلص إلى التسليم بالقضاء والقدر وحتمية الموت وهو ذروة العزاء التي بلغها الشاعر.

كثيرًا ما عبر الرثاء في العصر الجاهلي عن العواطف الجياشة التي يكنُّها الشعراء لفقيدهم، قد تكون عاطفة أخوة، أو أبوة، او أمومة، أو عاطفة تعكس العلاقة الاجتماعية بين الشَّاعر وأشراف قبيلته، أو غيرها.

وقد مزجت مراثيهم بين النَّدب والتأبين والعزاء في القصيدة الواحدة.

أما في صدر الإسلام فقد حافظت قصيدة الرثاء على المعاني الجاهلية المتعلقة بمناقب الفقيد الحميدة التقليدية التي تتمثل بالشجاعة والكرم وحماية الجار، وإغاثة الملهوف، وتخلت عن المعاني الأخرى التي نهى عنها الإسلام كالثأر، والعصبية القبلية، واستجدت معانٍ إسلاميَّة تتعلق بالقناعة، والإيمان بقضاء الله وقدره، واليوم الأخر، وتعظِّم الشهادة في سبيل الله تعالى، وتدعو للمرثي بالرحمة والمغفرة، وتخص على الصبر، وابتعد الشُّعراء غالبًا عن رثاء الأقارب، والرثاء القبلي.

ولم تعد نظرتهم إلى الرثاء نظرة عدم وفناء، بل إنَّه نقلةٌ إلى حياةٍ خالدة في جنات النعيم.

كما "انبثقت ألفاظٌ جديدة تؤكد صلة اللغة الوثقى بالدين الإسلامي الجديد...ومن تلك الألفاظ: أحتسب، راجعون، الثَّواب، الجنَّة، النَّار وغيرها"((1)).

ومُزج الرثاء بالفخر في مواضعَ كثيرة، "وبخاصة إذا كان المرثي شهيد غزوة أو فتح؛ فمنزلة الشهيد منزلة عظيمة "((2)).

وذلك إيمانًا ويقينًا بقوله تعالى: "ولا تحسبنَّ الَّذين قُتِلوا في سبيل الله أمْواتًا، بل أحياءٌ عندَ ربِّهِمْ يُرْزَقُون"((3)).

ومما قيل في رثاء الشُّهداء ما نجده عند كعب بن مالك الأنصاري الذي رثا شهيد غزوة أحد حمزة بن عبد المطلب عم الرسول –صلى الله عليه وسلم–.

بدأ رثاءَه بمقدمةٍ غزليَّة ينهج فيها طريقة العرب، قبل أن يتخلَّص إلى رثاء حمزة، ويصوِّر الفاجعة الأليمة التي ألمت بالمسلمين وتبدد لها الصخر، ثم ما يلبث أن ينتقل بصورة موته من الفاجعة إلى الطمأنينة والسكينة التي نزلت على قلوب المؤمنين؛ لأنَّ الله اصطفاه ليستشهد في سبيله وهذه فضيلة كبيرة يقول: –من الكامل–

(1)) الرثاء عند النساء حتى العصر العباسي، رسالة ماجستير، الرسالة خالد قسم السيد منصور، 2009، جامعة أم درمان، السودان، ص82.
(2)) المراثي النبوية في صدر الإسلام، أحمد حاجي، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، 2002/2001، ص49.
(3)) آل عمران 168.

طرقَتْ همومُك فالرُّقادُ مُسهَّدُ		وجزِعَتْ أنْ سُلِخَ الشَّبابُ الأغْيَدُ
ودَعَتْ فؤادَك للهوى ضمْريَّةٌ		فهواكَ غوريٌّ وصَحْبُكَ مُنْجِدُ
فدعِ التَّمادي في الغَوايَةِ سادِرًا([1])		قدْ كُنْتَ في طلَبِ الغَوايةِ تُفْنَدُ
ولقَدْ هُدِيْتُ لِفَقْدِ حمزة هدَّةً		ظلَتْ بناتُ الجَوْفِ مِنْها تُرْعِدُ
ولو أنَّهُ فُجِعَتْ حِرَّاءُ بمِثْلِهِ		لرَأَيْتَ رواسِي صَخْرِها يتبدَّدُ
عمُّ النَّبيِّ مُحمَّدٍ وصفيُّه		وردَ الحِمامَ فطابَ ذاكَ المَوْرِدُ
وأتى المنيَّةَ معلمًا في أسرةٍ		نصروا النبيَّ ومنهم المُسْتَشْهِدُ([2])

وقد شهد غرض الرثاء ازدهارًا كبيرًا، وخاصة مع المفاهيم الجديدة التي أثَّرت فيه في صدر الإسلام، إذ إنَّ أثر الموت الفردي غدا جماعيًا يتجاوز الرثاء الفردي ليتحول إلى رثاء جماعي، كما نجد في رثاء الأمة الإسلامية للرسول محمد –صلى الله عليه وسلم– إذ جسَّد الشعراء في رثائه المزايا الروحية ودرجة الكمال الإنساني، تقول عاتكة بنت عبد المطلب:

فابْكي المُباركَ والموفَّقَ ذا التُّقى		حامي الحقيقةِ ذا الرشادِ المُرْشِدِ
من ذا يفكُّ عن المغلَّلِ غلَّهُ		بعدَ المغيَّبِ في الضريحِ المُلحدِ
أم من لكلِّ مدفَّعٍ ذي حاجةٍ		ومسلسلٍ يشكو الحديدَ مُقيَّدِ([3])

[1]) سادر: "ورجل سادر: غير متشتت، والسادر: المتحير...والسادر: الذي لا يهتم لشيء ولا يبالي ما صنع..."، لسان العرب، ج4، ص355.

[2]) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تح: سامي مكي العاني، مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1966، ص189 وما بعدها.

[3]) نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد عبد الوهاب النويري (ت733هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، 1975م، ج18، ص405 وما بعدها.

وتجلَّت الميزة الروحية فيما ساقته صفية بنت عبد المطلب من أوصاف يتفرَّد فيها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن سائر الخلق، فما من إنسانٍ يُندَب بعده:

ثِمالِ([1]) المُعْدَمين وكل جارٍ		ومأْوى كلِّ مُضْطَهَدٍ غريبِ
عيْنُ من تندبين بعد نبيٍّ		خصَّهُ اللهُ ربُّنا بالكتابِ
فاتحٍ خاتمٍ رؤوفٍ		صادقِ القَوْلِ طيِّب الأثْوابِ
مُشْفَقٍ ناصحٍ شفيقٍ علَيْنا		رحمة من إلهنا الوَهابِ[2]

ومن أبرز الشعراء الّذين اشتهروا في مدح الرسول –صلى الله عليه وسلم–، حسان بن ثابت الذي عبَّر عن الجانب المثالي للرسول الكريم وفصَّل فيه ذاكرًا معظم قيم الصدق والكمال الروحي معبرًا عن إعجابه الشديد وتأثره به، وحزنه وحزن الأمة الإسلامية على فراقه، ومن هذا قوله من الكامل:

ما بالُ عينك لا تنامُ كأنَّما		كُحِلَتْ مآقيها بكِحْلِ الأرمَدِ
جزَعًا على المهديِّ أصْبَحَ ثاويًا		يا خيْرَ منْ وطِئَ الحصى لا تَبْعُدِ
أأُقيمُ بعدَكَ بالمدينَةِ بينهم		يا لهْفَ نَفْسي ليتني لمْ أولَدِ
فظلَلتُ بعدَ وفاتِهِ متبلِّدًا		يا ليتَني صُبِّحْتُ سمَّ الأسودِ

[1]) ثمال: "والثِمال، بالكسر: الغِياث، وفلان ثِمال بني فلان أي عمادهم وغِياثٌ لهم يقوم بأمرهم..."، لسان العرب، ج11، ص94.
[2]) نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، ج18، ص405.

أو حلَّ أمْرُ اللهِ فينا عاجِلًا		في رَوْحَةٍ منْ يومِنا أو غَدِ
فتقومُ ساعتَنا فتلقى سيِّدًا		محضًا([1]) مضارِبُهُ كريمَ المَحْتَدِ
في جنَّةِ الفرْدَوْسِ فاكتُبْها لنا		يا ذا الجلالِ وذا العُلا والسُّؤددِ[2]

عبَّر في أبياته السابقة عن حالته النفسيَّة إثر فقد الرسول –صلى الله عليه وسلم– وعجزه عن العيش من بعده، وعن رغبته في أن يجتمع معه في جنات النعيم، ونلاحظ قوة الشاعر الوجدانية والأثر الانفعالي إثر هذا الفقد.

عبَّر حسان في داليةٍ أخرى عن حزن المسلمين عندما واروا رسولهم –صلى الله عليه وسلم– الثرى، فبوفاته عليه الصلاة والسلام فقدوا السند الذي كان مثاليًا في علمه، وحلمه، وهديه إلى الطريق القويم، يقول من الطويل:

لقدْ غيَّبوا حِلمًا وعلمًا ورحمة		عشِيَةَ علُوهُ الثَّرى لا يوسَّدُ
تقطَّعَ فيهِ منْزلُ الوحيِّ عنهُم		وقدْ كانَ ذا نورٍ يغورُ ويُنجَدُ
يدلُّ على الرحمن منْ يَقْتَدي بهِ		وينفذُ منْ هَوْلِ الخزايا ويرشُدُ
إمامٌ لهم يهْديهِم الحقَّ جاهِدًا		مُعَلِمُ صِدْقٍ إن يطيعوه يسْعَدُوا[3]

[1]) محض: "وعربي مَحْض: خالص النسب ورجل ممحوض الحسب: مَحْضٌ خالص، ورجلٌ محضُ الحسب: خالصه، والجمع: مِحاض..."، لسان العرب، ج7 ص228

[2]) ديوان حسان بن ثابت، تقديم وشرح عبدا مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994، ص65.

[3]) المصدر السابق، ص61 وما بعدها.

وقد تابع حسان في وصفه للجانب الروحي للرسول الكريم الذي كان يعفو عن الزلات، ويعطف على المسلين، ويوجههم إلى الصواب، متأثرًا بالقرآن الكريم، يقول:

عفوٌ عن الزَّلاتِ يقْبَلُ عُذْرَهُم		وإنْ يُحْسِنوا فاللهُ بالخَيْرِ أَجْوَدُ
وإنْ نابَ أَمرٌ لم يقوموا بحَمْدِهِ		فمنْ عنْدِهِ تيْسيرُ ما يتشدَّدُ
عزيزٌ عَلَيْهِ أنْ يحيدُوا عن الهُدى		حريصٌ على أن يسْتقيمُوا ويهْتَدُوا
عطوفٌ عَلَيْهِ لا يُثْني جناحَهُ		إلى كَنَفٍ يحْنو عَلَيْهِم ويمْهِدُ [1]

ويبدو ما ذهب إليه زكي مبارك مصيبًا من أن جميع القصائد التي تُقال عقب وفاة الميت، وتتناول صفاته الحميدة من المراثي، ما عدا ما قيل في الرسول –صلى الله عليه وسلم– بعد وفاته فهي من المدائح، فلقد حقَّ التمييز بين هذه القصائد وغيرها، يقول:

"وأكثر المدائح النبوية قيل بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وما يقال بعد الوفاة يسمى رثاءً، ولكنه في الرسول (صلى الله وعليه وسلم) يسمى مدحًا، كأنَّهم لحظوا أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) موصول الحياة، وأنهم يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء، وقد يمكن القول بأن الثناء على الميت لا يسمى رثاءً إلا إذا قيل في أعقاب الموت، ولذلك نراهم يقولون: قال حسان

[1]) المصدر السابق، ص62.

بن ثابت يرثي الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ليفرقوا بين حالين من الثناء، ما كان في حياة الرسول –صلى الله عليه وسلم–وما كان بعد موته (صلى الله عليه وسلم)"((1)).

ومن المراثي التي برزت في عصر صدر الإسلام، مراثي الشعراء للخلفاء الراشدين وصحب الرسول عليه الصلاة والسلام الّذين اتبعوا نهجه، ووثق بهم الناس، وقد عاصر حسان بن ثابت أبا بكرٍ الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان –رضي الله عنهم– أجمعين، وشهد وفاتهم، ورثا كلًّا منهم، ومن ذلك ما قاله في رثاء أبي بكرٍ الصديق الذي عدَّ منزلته بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، وتغنَّى بالعلاقة الوطيدة التي جمعته معه، يقول من البسيط:

إذَا تذكَّرْتُ شَجْوًا([2])من أخي ثِقَةٍ		فاذكُر أخاكَ أبا بَكْرٍ بما فَعَلا
التَّالي الثَّاني المحمودُ شيمَتُهُ		وَأَوَّلَ الناسِ طُرًّا صَدَّقَ الرُّسُلا
والثَّاني اثنَيْنِ في الغارِ المُنيفِ وقدْ		طافَ العدُوُّ بهِ إذ صعَّد الجَبلا
وكان حبَّ رسولِ اللهِ قَدْ عَلِمُوا		منَ البَرِيَّةِ لمْ يَعْدِلْ بهِ رَجُلا
خيرَ البريَّةِ أَتْقاها وأَرأفُها		بعدَ النبيِّ وأَوْفاها بما حمَلا([3])

ورثا عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–، متبعًا عادة الجاهليين عندما وقف بقبره، وأقرأه السلام، ثمَّ شرع يتحسر على موته ويعدِّد مناقبه، ويتحدث عن عدله، يقول:

([1]) المدائح النبوية في الأدب العربي، زكي مبارك، دار المحَّجة البيضاء، د.ن، د.ت، د.ط، ص17.
[2]) شجو: "الهم والحزن، وقد شجاني يشجوني شجوا إذا حزنه..."، لسان العرب، ج14، ص422.
[3]) ديوان حسان بن ثابت، ص179، 180.

عليكَ سلامٌ منْ أميرٍ وباركَتْ		يدُ اللهِ في ذاكَ الأَديمِ المُمَزَّقِ
فَمَنْ يَجْرِ أوْ يرْكَبْ جناحَيْ نعامَةٍ		لِيَدْرِكَ ما قدَّمْتَ بالأَمْسِ يُسْبَقِ
قَضَيْتَ أُمورًا ثمَّ غادرْتَ بَعْدَها		نوافِجَ[1] في أَكْمامِها لمْ تفتَّقِ
وما كُنْتُ أَخْشى أنْ تكونَ وفاتُهُ		بكَفَّيْ سَبَنْتَي أَزْرَقِ العيْنِ مُطرقِ[2]

كما رثا عثمان بن عفان –رضي الله عنه–بأبياتٍ تنمُّ عن صدق حزنه، وحسرته على فقده، وارتباطه بعثمان وصحبه حتى الممات، يقول من البسيط:

منْ سرَّهُ المَوْتُ صِرْفًا لا مِزاجَ لهُ		فَلْيَأْتِ مأسَدَةً في دارِ عُثْمانَا
بل ليتَ شِعْري ولَيْتَ الطَيْرَ تُخْبِرُني		ما كانَ شَأْنُ عليٍّ وابن عَفَّانا
ضحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنوانُ السُّجودِ به		يُقطِّعُ اللَيْلَ تسبيحًا وقُرْآنا
لَتَسْمَعَنَّ وشيكًا في ديارِهِمْ		اللهُ أكبرُ يا ثاراتِ عُثْمانَا
إني لمِنْهُمْ وَإِنْ غابُوا وإنْ شَهِدُوا		حتَّى المماتِ وما سُمِّيتُ حَسَّانَا[3]

أما في العصر الأموي فقد حافظ الشعراء على المعاني الإسلامية، وكانوا شديدي التأثر بها.

[1]) نوافج: "والنوافج: مؤخرات الضلوع، واحدها نافج ونافجة، وتسمَّى الدَّخاريص التنافيج لأنَّها تنفج الثوب فتوسعه، ويقال: ما الذي استنفج غضبك؟ لأي أظهره وأخرجه..."، لسان العرب، ج2، ص382.
[2]) لم أقع على هذه الأبيات في الديوان، وردت في: العِقْدُ الفَريد، ج3، ص238.
ووردت منسوبة إلى الشماخ، في: طبقات فحول الشعراء، ج1، ص133، ويُنظر ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت، ص448 وما بعدها.
[3]) ديوان حسان بن ثابت، ص244.

وتتجلى قيمة الصَّبر واحتساب الأجر عند الله، في رثاء جرير (ت114هـ) لعبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك:

فهدَّ الأرْضَ مصْرَعُهُ فمادَتْ		رواسيها ونضِّبَتِ البحورُ
وأَظْلَمَتِ البلادُ عليْهِ حُزْنًا		وقُلْتُ أفارقُ القمرُ المنيرُ
وكلُّ بني الوليدِ أسرَّ حُزْنًا		وكلُّ القَوْمِ مُحْتَسِبٌ صبورُ
وكَيْفَ الصَّبْرُ إذْ نظرُوا إلَيْهِ		يُرَدُّ على سقائفِهِ الحفيرُ[1]

كما تنوعت صفات من قرضوا الشعر فمنهم الشاعر والخليفة، والقائد، فقد غلب على رثاء الخلفاء والقادة الطابع السياسي، مما يؤدي إلى امتزاج الطابعين الرسمي والخاص.

بلغ عدد الشعراء الذين رثوا الخلفاء والقادة، أكثر من مائة شاعر، تباين إبداعهم واختلفت غزارة شعرهم، فمنهم من قال البيت، أو المقطوعة أو القصيدة.(2)

في مقدمة الشعراء الَّذين رثوا الخلفاء والقادة الفرزدق (ت114هـ)؛ إذ رثا سبعة عشر بين خليفة وقائد...ومما يلاحظ على بعض القادة الذين رثاهم الفرزدق، انتماؤهم إلى قبيلة الشاعر (تميم)، وهذا يؤكد اعتزاز الشاعر بأبناء قبيلته وتمجيدهم بذكر فضائلهم بعد موتهم، ويأتي في المرتبة الثانية كُثَيِّر عزَّة، إذ رثا عبد العزيز بن مروان بست قصائد بلغت إحداها ثمانية وثلاثين بيتًا، وهذا يدل على مدى الحب والوفاء الذي يكنِّه الشاعر لعبد العزيز بن مروان، أما جرير فيأتي

[1]) ديوان جرير، تح: كرم البستاني، دار بيروت، بيروت، 1986، ص173 بتصرف.
(2)) رثاء الخلفاء والقادة في العصر الأموي، طراف طارق النهار، ص77.

بالمرتبة التاسعة، وهو لم يكن كالفرزدق في كثرة رثائه، إذ إنَّه لم يشترك معه إلا في رثاء مالك بن مسمع الشيباني بأربعة أبيات، وتوزعت بقية مراثيه على قادةٍ آخرين((1)).

من أبرز القادة الَّذين رثاهم الفرزدق الحجَّاج بن يوسف الثَّقَفي، فقد كان لوفاته أثرٌ كبيرٌ عند الشعراء، لما عُرف عنه من صفات القائد الحقيقي الذي يُرهَب جانبه، والذي يحسن تدبير أمور الخلافة، فقد بكاه الفرزدق وتحدث عن حمايته للثغور، وقدرته على إدارة الفتن، وتفانيه في خدمة الخلافة الأموية.

– من الطويل–:

لِيَبْكِ على الحجَّاجِ منْ كانَ باكيًا		على الدِّينِ أوْ شارٍ على الثَّغْرِ واقِفْ
وما ضَمَّنَتْ أَرْضٌ فتَحْمِلْ مِثْلَهُ		ولا خطَّ ينْعى في بطونِ الصَّحائِفْ
لِحَزْمٍ ولا تَنْكيلِ عِفْريتِ فِتْنَةٍ		إذا اكْتَحَلَتْ أنْيابُ جرْباءَ شارِفْ
وما ذرَفَتْ عيْنانِ بعْدَ مُحمَّدٍ		على مثْلِهِ إلَّا نفوسُ الخلائِفْ
فلمْ أر يوْمًا كانَ أنْكى رزِيَّةً		وأَكْثَرَ لطًّا للعيونِ الذَّوارِفْ[2]

ونشير إلى أن الرثاء السياسي في عهد الأمويين استمر في رثاء الشعراء لأنصارهم عندما بدأت الخلافة العباسية، يقول محمد مصطفى هدارة:

(1)) المرجع السابق، ص78 وما بعدها بتصرف.
2) ديوان الفرزدق، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987، ص368.

مبرز الرّثاء في العصر العباسي، وأكثر الشُّعراء من التطرُق إليه، كما ظلت بعض آثار الرّثاء السياسي من عهد الأمويِّين، إذ رثى الأمويون أنصارهم بعد استلام بني العباس الخلافة، يقول محمد مصطفى هدارة:

"لقد ظل الرّثاء السياسي والمذهبي– إن صحت هذه التسميَّة – موجودًا في هذا العصر،... وبعد سقوط الأمويين ونكبتهم على أيدي العباسيين والتمثيل بهم، تعددت مراثي شعرائهم الذين وفوا لهم صادقين مخلصين...والحقيقة إن هذا النوع التقليدي من الرّثاء كان أثرًا من آثار الجاهليَّة...ولكن الحضارة الجديدة في القرن الثاني التي أثرت في كل نواحي الحياة ومظاهرها المختلفة أثرت في شعر الرّثاء تأثيرًا واضحًا"(1)

فالملاحظ من هذا القول محافظة الشُّعراء على المعاني التقليديَّة للرثاء، مع جدّة لا يمكن إغفالها.

كذلك أذكت نكبات المدن قرائح الشُّعراء، فقاموا برثائها:

"نجدهم يرثون مدنهم التي يسكنونها إذا جارت عليها عوادي الزمن، وكانت نكبة بغداد أيام الفتنة بين الأمين، والمأمون هي الحادثة التي أثارت خيال الشُّعراء البغداديين وحركت عواطفهم، بل

((1)) اتجاهات الشِّعر العربي، محمد مصطفى هدارة، دار المعارف، مصر، د.ط، 1963، ص437.

أسالت دموعهم فطفقوا يبكون مدينتهم الحبيبة إلى نفوسهم ويرثونها بأحر المعاني وأصدق العواطف"(1)، يقول العتري[2]:

منْ ذا أصابَكِ يا بغدادُ بالعين		ألـم تـكـونـي زمـانًـا قـرّةَ الـعـيـن
ألم يكُنْ فيك قومٌ كان مسكنُهُم		وكـان قـربُـهـم زيـنـاً مـن الـزّيـن[3]

واتخذ هذا الغرضُ عندهم اتجاهات متعددة، فترى أبا نواس (ت195هـ) يعبر الشاعر عن عاطفته وحزنه مبتعدًا عن المبالغة، في قصيدته التي رثا فيها الأمين، ومنها من الطويل:

طوى الموتُ ما بيني وبينَ محمد		وليسَ لما تطوي المنيَّة ناشِرُ
فلا وصلَ إلّا عبرةٌ تستَدِرُها		أحـاديـثُ نفسٍ مـا لهـا الـدهرُ زاجِرُ
وكُنْتُ عليهِ أَحْذَرُ الموتَ وحدَهُ		فـلـمْ يـبـقَ لـي شـــيءٌ أُحـاذِرْ
لئِن عَمِرَتْ دورٌ بمن لا نُـحِبُه		لقَـدْ عَمِرَتْ ممن نُحِـبُّ المقـابِرُ[4]

((1))المرجع السابق، ص444.

[2]) لم أقع له على ترجمة.

[3] مناسبة القصيدة "حصار الأمين في بغداد عام (197هـ)، حاصر زهير بن المسيب الضبي بغداد إذ نزل قصر رقة كلواذي، ونصب المناجيق والعرادات واحتفر الخنادق، وجعل يخرج في الأيام عند اشتغال الجند بحرب طاهر، فيرمي بالعرادات من أقبل وأدبر، و...أموال التجار ويجبي السفن"... يُنظَر: تاريخ الأمم والملوك للطبري، أوردها في أحداث السَّنة السَّابعة والتسعين بعد المائة، ص1745-إلى ص1747.

[4] ديوان أبي نواس، الحسن بن هانئ، برواية الصولي، تح: بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنية هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ط1، 2010 ، ص692.

ولعلَّ مرثية أبي تمام لمحمد بن حميد الطوسي من أبرز المراثي التي نُسِبَت له، فقد شبه وفاته بالمصيبة العظيمة التي حلت، ودُفِنت معه آمال الأمة، فقد كان رمزًا للعطاء والجود، يقول في مقدمة القصيدة من الطويل:

كذا فليجلَ الخَطْبُ وليَفْدَحَ الأمْرُ		فليْسَ لِعَيْنٍ لم يَفِضْ ماؤها عُذْرُ
توفَيْتْ الآمالُ بعْدَ مُحَمَدٍ		وأَصْبحَ في شُغْلٍ عنِ السَفَرِ السَفَرُ
وما كان إلا مال من قلَّ مالُهُ		وذُخْرًا لمَنْ أَمْسى وليسَ لهُ ذُخْرُ
وما كان يَدْري مجتدى جود كفهِ		إذا ما اسْتَهَلَتْ أنه خلق العُسْرُ[1]

وكثيرًا ما أصبح الرّثاء وسيلة للتذكير بالحياة الآخرة، وهذا ما أشار إليه محمد مصطفى هدارة في قوله:

"كما أن الرّثاء عامة قد أصبح في أيدي الشُّعراء الزهاد وسيلة للتذكير بالموت وتنبيه الغافلين عن اليوم الآخر"((2))

وعلى هذا النحو ارتبطت مراثي البحتري أحيانًا بالأحداث التي مرت بها الخلافة العباسيَّة، كمقتل المتوكل (ت247هـ)، ووزيره الفتح بن خاقان (ت247هـ)؛ فقد أثرت هذه الحادثة تأثيرًا شديدًا في

[1]) ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي (ت231هـ)، ديوانه، بشرح الخطيب التبريزي، تح: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ط5، 2009، ج4، ص79.

((2)) اتجاهات الشِّعر العربي، محمد مصطفى هدارة، ص 446.

نفسه، ولطالما ذكرها في قصائده ولم تكن القصيدة رثاء للخليفة فحسب، بل للخلافة العباسيَّة أيضًا.

وذكر الحصري القيرواني(ت453هـ) أن أبا العباس ثعلب قال فيها:

"ما قيلت هاشميَّة أحسن منها، وقد صرح فيها تصريح من أذهلتْهُ المصائب عن تخوّف العواقب"((1))

يقول صالح حسن اليظي في هذا "فكأنِّي بالشَّاعر الفنان لا يرى في الجعفري الذي قُوِض رمزًا للخلافة العباسيَّة فحسب وإنَّما يراه كذلك رمزًا لمجده الأدبي الشامخ الذي بات مهددًا بالتداعي"((2)).

وقد بدأ البحتري مرثيته بالوقوف على أطلال الجعفري، ثمَّ ربط بين سقوط القصر، ومقتل المتوكل، يقول من الطويل:

مَحَلٌّ على القاطول أخلقَ داثِرُه		وعادَتْ صروفُ الدَّهرِ جيشًا تغاوِرُه
تغيّر حسنُ "الجعفريّ" وأُنْسُه		وقُوِّضَ بادي "الجعفريِّ" وحاضِرُه
تحمَّلَ عنهُ ساكِنوهُ فُجاءَةً		فعادَتْ سواءً دورُه ومقابِرُه

((1)) زهر الآداب وثمر الألباب، أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني، تح: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربيَّة، ط1، 1953، ج1، ص216.
((2)) البحتري بين نقاد عصره، صالح حسن اليظي، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص152.

إذا نـحنُ زُرْنـاهُ أَجَدَّ لنـا الأسـى		وقد كـانَ قـبْلَ اليومِ يبـهـجُ زائِرُه
لَنِعمَ الدَّمُ المسفوحُ ليلةَ "جعفرٍ"		هرقْتُم، وجُنْحُ الليل سودٌ دياجِرُه [1]

يمثل قصر الجعفري الواقع، ويرمز إلى ما آلت إليه الحياة بعد مقتل المتوكل، فيصور الشَّاعر في أبياته ما كان عليه القصر من جمال وسعادة، ثمّ ما أصابه من خراب ودمار، كما تعبِّر الأبيات عما يكنه وجدان البحتري من حزن وأسى، وقد أشار إلى اجتماع جميع نوائب الدهر، وعناصر الطَّبيعة من رياح وغير ذلك على القصر.

يقول محمد مهدي البصير عن ميزة رثاء البحتري:

"يفيض رثاء (البحتري) جدّة وأصالة ويتدفق صدقًا وإخلاصًا، وماهي إلا أن تقرأه حتى تشعر كأن الفاجعة التي يصورها قائمة ماثلة تهلع منها القلوب، وتدمع العيون، وتهمس بها الشفاه، وتحار لها الألباب"((2)).

يشعر المتلقي أنَّ الشاعر ينعى الخلافة متمثلةً في مقتل الخلافة ودمار القصر.

نتائج البحث ومناقشتها:

[1] ديوان أبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري (ت284هـ)، ديوانه، تح: حسن كامل الصيرفي، د.ط، د.ت، ج2، ص1045 وما بعدها.

[(2)] في الأدب العباسي، محمد مهدي البصير، مطبعة السعدي، بغداد، ط2، 1955. ص251/250.

طبيعيٌّ أن يرتبط الرثاء في الموروث الشعري القديم بالقبيلة، لذا نجد عددًا من الشعراء رثوا أشراف قبائلهم، كما أن الرثاء غلب على شعر الشاعرات كالخنساء، وليلى الأخيلية وغيرهنَّ.

والملاحظ أن الشعراء أفادوا من عناصر الطبيعة والجمادات في تصوير حزنهم على المرثي والتعبير عنه؛ فالشمس تتكسف، والجبال تهتز، والغيوم تمطر، والمساجد والمنابر تبكي...، واستدعى الشُّعراء عناصر الطبيعة وكائناتها لتشاركهم أحزانهم كالحمام والصباح، وغير ذلك.

ولقصائد الرثاء عمومًا، وقصائد رثاء الأشراف خصوصًا أثرٌ في توثيق الأحداث التاريخية التي شهدها الأدب، فمن خلالها نعرف أحيانًا تاريخ وفاة المرثي والحدث الذي رافق موته سواءٌ أكان قد توفي في معركة، أو قُتِل غدرًا، وما سوى ذلك من تفصيلات عُدَّت من مقتضيات الرثاء.

كذلك امتزجت في كثيرٍ من نماذج رثاء الأشراف التهنئة بالتعزية، والرثاء، كأن يهنئ الشاعر الخليفة الجديد، ويعزيه في الوقت نفسه بوفاة أبيه، ويرثيه ويعدد مناقبه.

وقد كان الرثاء عند الشعراء الجاهليين، تعبيرًا عن لوعة الفراق وربما يكون في أحيانٍ كثيرة سخطًا على القضاء والقدر، وكان الشعراء يتغنون بالخصال الحميدة للمرثي من شجاعةٍ وكرم.

أما الرثاء في صدر الإسلام فقد تميَّز بالتأثر بالمعاني الدينية، وترسخت لدى الراثين فكرة الإيمان بقضاء الله وقدره، وباليوم الآخر خيره وشره، وكثُرت المراثي النبوية، وحافظ الرثاء في العصر الأموي على المعاني الإسلامية، وكانت المراثي مرجعًا للأحداث السياسية، والصراعات، وبرز

رثاء الخلفاء والقادة، واستجدَّ الرثاء في العصر العباسي، فظهر رثاء المدن والممالك، وضحايا الأوبئة، والحيوانات، والجواري، مستجيبًا للنهضة المدنية، وغنى الثقافات.

وتباينت المراثي في صدق العاطفة، وتنوع الموضوعات، والصور الفنية بين شاعر وآخر، ولا ينبغي أن نعدَّ هذا التباين، نتيجة لاختلاف المراحل التاريخية وحسب.

مقترحات البحث:

يُقترَح التوسع في دراسة رثاء الأشراف، والاهتمام بنماذجه في كلِّ عصرٍ على حدا، لأنَّ هذه الدراسة ترتبط بالتاريخ السياسي للأمة العربية، وتوسع مدارك القرَّاء حول تطور الأدب العربي وتعدُّد اتجاهاته، واختلافها وتنوعها وفقًا للحالة السياسة السائدة في كلِّ عصر.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

المصادر:

1. أخبار البحتري – محمد بن يحيى بن عبد الله أبو بكر الصولي (–335هـ) – تح: صالح الأشتر–المجمع العلمي العربي–دمشق– ط1–1958.
2. أساس البلاغة– جار الله، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (–538هـ) – تح: محمد باسل عيون السود– دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان– ط1–1984.

3. الأصمعيات، أبو سعيد، عبد الملك بن قُرَيب بن عبد الملك الأصمعي، تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، بيروت، ط5، د.ت.
4. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني (ت356هـ)، تح: إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت، ط3، 2008.
5. تاريخ الأمم والملوك أبو جعفر بن محمد الطبري(–310هـ)– تح: أبو صهيب الكرمي– بيت الأفكار الدولية– السعودية– د.ط– د.ت.
6. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، أبو زيد القرشي (ت170هـ)، تح: علي محمد البجاوى، نهضة مصر، د.ط، د.ت.
7. ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي (ت231هـ)، ديوانه، بشرح الخطيب التبريزي، تح: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ط5، 2009.
8. ديوان أبي عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى البحتري (–284هـ) – تح: حسن كامل الصيرفي– دار المعارف، مصر– د.ط– د.ت.
9. ديوان أبي نواس، الحسن بن هانئ، برواية الصولي، تح: بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنية هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ط1، 2010 .
10. ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تح: عزَّة حسن، مديرية إحياء التراث القديم، 1960.
11. ديوان جرير، تح: كرم البستاني، دار بيروت، بيروت، 1986.

12. ديوان حسان بن ثابت، تقديم وشرح عبدا مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994.

13. ديوان الخنساء، تح: حمدو طمَّاس، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004.

14. ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت.

15. ديوان الفرزدق، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987.

16. ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تح: سامي مكي العاني، مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1966.

17. ديوان ليلى الأخيلية، تح: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط2، 2003.

18. زهر الآداب وثمر الألباب، أبو إسحاق، ابراهيم بن علي الحصري القيرواني، تح: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربيَّة، ط1، 1953.

19. سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت748هـ)، تر: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدوليَّة، لبنان، ط1، 2004.

20. الشّعر والشُّعراء، أبو محمد، عبد الله بن مسلم الدينوري بن قتيبة، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، د.ط، 1958م.

21.طبقات فحول الشُّعراء، ابن سلَّام الجمحي، تح: محمود شاكر، دار المدني جدة، د.ط، د.ت.

22.طبقات الشعراء، ابن المعتز، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، د.ط، 2009.

23. العِقْدُ الفَرِيد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت 328هـ)، تح: محمد مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983، ط1

24.العمدة في محاسن الشعر وآدابه – أبو علي، الحسن بن رشيق القيرواني(–456هـ) – تح: محمد قرقزان– دار المعرفة– بيروت– ط2– 1994.

25.فحولة الشعراء، الأصمعي، تح: المستشرق: ش. توري، تقديم: صلاح الدين المنجِّد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1980.

26.الفهرست، ابن النديم (ت385هـ)، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.

27.لسان العرب– محمد بن مكرم بن علي بن منظور(–711هـ) – دار صادر– بيروت– د.ط– د.ت.

28.معاني القرآن– أبو زكريا، يحيى بن زياد الفراء(–207هـ)– ج2– عالم الكتب– بيروت– ط3–1983.

29. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن، حازم القرطاجني، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، 2008، ط3.

30. نقد الشعر، قدامة بن جعفر (ت327هـ)، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

31. نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد عبد الوهاب النويري (ت733هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، 1975م.

32. وفيات الأعيان– أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان(–681هـ) – تح: إحسان عباس–ج6–دار صادر– بيروت – د.ط– د.ت.

المراجع:

1. اتجاهات الشِّعر العربي، محمد مصطفى هدارة، دار المعارف، مصر، د.ط.
2. الرثاء، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط4، د.ت.
3. رثاء الخلفاء والقادة في العصر الأموي، طراف طارق النهار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2019.
4. الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد، محمد زكي العشماوي، دار النهضة، بيروت، د.ط،1983.

5. صورة المجتمع العباسي في طبقات الشعراء لابن المعتز، عز الدين أحمد التمر، جامعة الخرطوم، 1928.
6. الفن ومذاهبه في الشعر العربي–شوقي ضيف–دار المعارف–مصر–ط11–د.ت.
7. في الأدب العباسي، محمد مهدي البصير، مطبعة السعدي، بغداد، ط2، 1955.
8. المدائح النبوية في الأدب العربي، زكي مبارك، دار المحَّجة البيضاء، د.ن، د.ت، د.ط.
9. مراثي الخلفاء والقادة في الشعر العباسي، لطيفة مهداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010.
10. معجم الشعراء العباسيين– عبد الرحمن عفيف–جروس برس– لبنان–ط1– 2000.
11. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب– مجدي وهبة وكامل المهندس– مكتبة لبنان– بيروت– ط2–1984.
12. النقد الأدبي وأدب النقد، محمد بركات حمدي أبو علي، دار وائل، الأردن، ط1، 2001.

الرسائل والبحوث العلمية:

1. اتجاهات الرثاء في القرن الثالث الهجري من خلال أعلامه، روضة المحمد، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، د.ط، 1983.
2. الرثاء في شعر الشريف الرضي، محمد تركي أمين طرادات، رسالة ماجستير، الجامعة الهاشمية، الأردن، د.ط، 2002.
3. الرثاء عند النساء حتى العصر العباسي، رسالة ماجستير، الرسالة خالد قسم السيد منصور، 2009، جامعة أم درمان، السودان.
4. رثاء النفس في الشعر الجاهلي، إبراهيم عبد الفتاح حسن جرَّاش، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، فلسطين، د.ط، 2017.
5. شعر المراثي النبوية دراسة في التشكيل الجمالي، كوثر قبايلي وصليحة بوشالة، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن المهيدي، الجزائر، د.ط، 2020.
6. الصورة في شعر الرثاء الجاهلي، صلوح بنت مصلح بن سعيد السريحي، كلية التربية للبنات، جدة، د.ط، 1998.
7. فن الرثاء عند المرأة في الشعر الأموي، نعيمة محمد عبد اللطيف بنون، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، د.ط، 1989.
8. المراثي في جمهرة أشعار العرب، محمد علي صالح الشهري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، د.ط، 1424هـ.

9. مفهوم الطبقة عند ابن سلاّم، الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية أنموذجا، دراسة فنية موازنة، سمير سوالمية، رسالة ماجستير، جامعة منتور، قسنطينة، الجزائر، 2009.
10. المراثي النبوية في صدر الإسلام، أحمد حاجي، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، 2002/2001.
11. النقد التطبيقي في القرن الخامس الهجري، سامي العتلي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009.